الفصل الأول

١- أوجاع وآلام المرأة

عندما يضع الرجل العربى كلمة امراة فى جملة مفيدة فهو يقع أسير صراع عنيف ففى العلن يقول إنها الدرة المصونة والجوهرة المكنونة, وفى السر يخفى احتقار لها وتعاليه عليها ونظرته المزمنة إلى كيانها كمواطن من الدرجة الثانية , ولا يوجد تراث أدبى فى الكون يحمل كل هذه الكمية من الغزل البرئ وغير البرئ فى المرأة ,ولكنه فى نفس الوقت هو غزل جسدى لم يتطرق الى التغزل فى العقل أو الفكر أو السلوك , وهذه الازدواجية الذكورية هى التى جعلت من المرأة لوحة تنشين سهلة لرصاصات الرجل الطائشة ..

وصنعت منها تمثالا محشوا بالقش مثله مثل النماذج التى يتدرب عليها لاعبو(البوكس)فيكيل لها اللكمات المادية والمعنوية ليفرغ فيها كبته المزمن وعقده المتضخمة ,وطاووسيته المتورمة , وتكون النتيجة مجرد عيشة وليست حياة , وعيشة فيها طرف ضد طرف آخر ,وليس طرف مع طرف آخر , عيشة مثل لعبة(البازل) التى ضاعت منها قطعة واحدة ولكنها القطعة التى بدونها لن يكتمل الشكل ابدأ,هذه القطعة هي التفاهم والتواصل الذى لا يمكن أن يحدث نتيجة إحساس الدونية التى تعيشه المرأة ,والذى يؤدى إلى قبول العنف ضدها كأمر واقع , وهو عنف كرسته للأسف الثقافة السائدة لدرجة أن الكثير من النساء لم يعد يرون فيه مشكلة بل يعتبرونه حق إلهياً للرجل «١» ..دائما ما ينظر الرجل الى المرأة على إنها مخلوق فى مرتبة أقل منه برغم احتياجه الشديد إليها ولكن دائما ما يخفى هذا الأمر ولا يظهره يصفها بأفضل الأوصاف ولكن فى داخله يلوم نفسه ويقول هى أقل منى بشكل دائم ومتكرر .. وعندما تحدث الشعر العربي عن المرأة نادرا جدا ما يتحدث عن صفاتها العقلية أو مدى نضج عقلها وراجحة فكرها ولكن دائما ما يتحدث عن الوصف الجسدي مثل الصدر

والنهد والخصر والبطن والردف والفخذان وقد وصف الشاعر العربي صدر المرأة فجعله مثيرا وفاتحا للكون الجنسي وشهيا تتجاوز حدوده العالم الحسّي، فشبهوه بالرمانة في استدارته، والخــصـر هو الحزام الأنثوي الذي يفصل بين عقل الاشتهاء واشتهاء العقل، بين أعلى الجسد وبين ما أسفله ,الرّدفان هما بُؤرة الشهوة عند العربي، وأكثر ما تمتاز به المرأة في المخيال العربي، أما الفخدان ،ففيهما الإغواء والإغراء والشهوة ، فهما تفضيان إلى مكامن السحر والجمال
فقد قال ابن الرومي:
وشربت كأس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكني بكيت لخصرها.

وكل هذا يجعل من المرأة مخلوق للمتعة فقط كما لو كانت فى نظر الرجل مجرد جسد يستمتع به، يفرغ فيه الشحنة الكامنة بداخله سواء بالوصف أم بالفعل وفى النهاية حياة بلا تواصل أو تقارب فى الفكر أو النظر بين الطرفين لأن نظرة كلٍ منهم للأخر مختلفة تماما هو ينظر لجسدها ومدى تسلطة عليها وهى تعتقد أنه هذا الأمر حق مكتسب للرجل يصنع معها ما يشاء وذلك يرجع الى الموروث الثقافى الخطأ وعلينا نحن تغيير تلك النظرة المخالفة لما عليه الشرع والدين ,فقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم
(إنما النساء شقائق الرجال ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم)أخرجه الإمام أحمد والترمذي في كتاب الطهارة ومعنى كون النساء شقائق الرجال أن المرأة شقيقة الرجل بمعنى أنها جزء منه لأن المرأة بنت لأبيها فهي بضعة منه كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في فاطمة بنت محمد رضي الله عنها (فاطمة بضعة مني (وله معنى آخر شقائق الرجال أي مساويات للرجال فيما فرض الله عز وجل على الرجال والنساء مما لا تختص به المرأة أو لا يختص به الرجل...

٢- المرأة وكيس الرمل

اكسر للبنت ضلع يطلع لها ضلعين , وضرب الحبيب زى أكل الزبيب , هذه الشعارات وغيرها هى ما يستند إليه ويختبئ وراءه معظم الرجال الذين يضربون زوجاتهم, والمصيبة أن هذه الأمثال الشعبية ليست صناعة مصرية خالصة,وانما هى سوق عربية مشتركة , فهناك أيضا من تعبيرات وأمثال الشام المرأة مثل السجادة ما بتنضف الا بالخبط , والمرأة مثل الزيتون ما بتحلى إلا بالرص أى بالضرب , والمرأة كل ما بهدلتها حبتك وكل ما دللتها سبتك ,والمرأة فشه خلق أى متنفس للكبت ..

ولأن المرأة فشة خلق كما تقول الأمثال فهى كمثل كيس الرمل الذى يعلقه أصحاب العمل اليابانيون على بعض أبواب شركاتهم ليضربه الموظفون فى الصباح,ويفشوا غلهم فيه فينتهى توترهم ويبدأون يوماً جديداً بهمة ونشاط ،،ولأن من المسموح للرجل أن يكون بالون غضب, ومن الممنوع على المرأة ان تقترب من هذا البالون إلا كدبوس لتخفيف توتره, والتساؤل الذى يفرض نفسه هو :هل الزواج تحول الى ساحة مصارعة أو حلبة ملاكمة ؟ والإجابة فى كثير من الأحيان نعم, ذلك ما تؤكده هذه الأرقام الماسأوية المفزعة التى تؤكد أن واحدة من كل ثلاث نساء مصريات متزوجات تتعرض للضرب مرة واحدة على الأقل منذ زواجها, و٤٢ فى المائة الى ٤٦ فى المائة من النساء المتزوجات الأميات أو الحاصلات على تعليم ابتدائى تعرضت للضرب خلال حياتها الزوجية , ١٤ فى المائة من الحاصلات على درجات تعليمية أعلى بما فى ذلك التعليم الجامعى وما فوق الجامعى تعرضت للضرب فى حياتها الزوجية

(د. ماجدة عدلى مركز النديم)

وفى بحث ميدانى آخر يدل على مدى انتشار الضرب لدرجة الوباء تبين ان ٨٣ فى المائة من نساء عينة البحث و ٩٤ فى المائة من الرجال

أفادوا انهم يعرفون أسر تضرب فيها النساء الزوجات والأمهات والأخوات (مركز دراسات المرأة الجديدة)

كما بين بحث أجراه المجلس القومى للسكان فى مصر أن ٣٥ فى المائة من المصريات تعرضن للضرب من قبل أزوجهن على الأقل مرة واحدة وأن حملهن لم يعفهن من العقوبة وهذه الاحصائيات غالبا أقل من الحقيقة لأن المرأة تدارى وتخفى وتبلع أهانتها رافعة الشعار المخادع الذى تمر من خلاله بوابته كل الإهانات بلاش نهد البيت وخلينا نربى العيال ,وهى كلمة حق يراد بها أباطيل كثيرة أهمها تسويغ وتبرير ضربها وإهانتها المستمرة أمام الناس وأمام أطفالها والأهم أمام نفسها التى تتعود الإهانة حتى تدمنها , فيضاف الخراب النفسى إلى التدمير الجسدى « ٢ «

المرأة ضحية الموروث الشعبى الذى جعل منها عروسة للفضفضة يخرج به الرجل غله وتوتره كى يستريح، ياله من موروث متخلف صنع من الرجل هاله من الجبروت وجعل من المرأة مخلوقا ضعيفا قليل الحيلة ما عليها سوى أن تكون أنبوبة اختبار لتفريغ ما بداخل الرجل من ضغوط نفسية وعصبية وإخراج عقده على الأنثى بشكل عام سواء زوجة أم أخت وفى بعض الأحيان الأم وتحويلها إلى كائن لا شعور له ولا إحساس ولا متنفس لها وهى أيضا تقنع نفسها بذلك قائلة أنا مثل الآخريات ،، ولا أفرق عنهم فى شئ كلنا فى الهم سوء وهذا ليس بصحيح بل هي مجرد عبارات رنانه تقنع بها نفسها كى تجعل من الإهانة والضرب مجرد شئ اعتيادى ووارد لدى جميع النساء و تحويل الهزيمة النفسية والجسدية إلى لغة تصبير وهى بذلك تدمر أبنائها ونفسها لأنها بهذا الفعل تصنع جيلا من الأبناء من أهم سماته الضعف والاستسلام والخنوع لما هو واقع لهم من بطش لا حلية لهم فيه إلا أنه مجرد شئ وراثى لا يمت للواقع أو الشرع بأى صلة تذكر, فقد قال تعالى فى كتابه العزيز

(وعاشروهن بالمعروف)

وقال أيضاً (وخلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)

أين نحن من نور هذه الآيات وتجلياتها ؟

وإذا كنا سنعيد النظر فى مفاهيم كثيرة فلابد أن يكون من بين ما سنعيد النظر فيه مفهوم العنف ذاته وستساعدنا فى ذلك المادة الثانية من الاعلان العالمى لإزالة أشكال العنف ضد المرأة . وأيضاً ما تضمنته مؤتمرات السكان التى أشرفت عليها الأمم المتحدة وبذلك يمكننا تقسيم العنف إلى

العنف النفسى : معاملة المرأة على أنها أقل أو جعلها تظن أنها حالة نفسية معقدة وإفقادها الثقة فى ذاتها , واتهامها بالتسبب فى العنف الممارس ضدها

العنف الإقتصادى : عدم السماح للمرأة بالعمل وعدم إعطائها نقوداً أو أخذ النقود منها وعدم إخبارها بدخل الأسرة

العنف الجنسى : إجبار المرأة على ممارسة جنسية ضد رغبتها

تهديد المرأة : التهديد بقتلها أو تركها أو إجبارها على عمل أشياء غير قانونية

استخدام الأطفال ضد المرأة من خلال تهديدها بعدم رؤيتهم ثانية أو إشعارها بالذنب لتركهم

إرهاب المرأة :كسر أشياء أو سكب طعام على الأرض أو الإحتفاظ بألة حادة فى المنزل للتهديد .

عزل المرأة عن بيئتها : تحديد حرية حركة المرأة ومنعها من رؤية عائلتها وأصدقائها .

٣- الرجال والعناكب والاغتصاب

بالبحث العلمى نجد أن المخلوقات سواء كانت بشرية أو حيوانية لم ينفرد بالقدرة على الاغتصاب سوى مخلوقان هما الرجل وفصيلة العناكب وهذا يدل على أن الاغتصاب صفة للرجال وهواية لا يقدر عليها إلا الذكور , وقد مزج المخرج الفرنسي آلان رينيه فى فيلم هيروشيما حبيبى وهو الفيلم الذى أثار ضجة كبيرة في أوساط العالم، وشهد إقبالاً لم تعرفه إلا أفلام رفيعة نادرة ،، إنه مأساة الحرب... والحب فقد ساو ى بين حادث القنبلة الذرية وحادث الاغتصاب ،، وفى رائى لا أعتقد أنه يبالغ وقتها فى هذا المزج , ولم يكن متأثر تحت وطأة الخيال الفنى والجموح السينمائى, فالاغتصاب عاصفة تجتاح نفسية الفتاة وتزلزلها كتأثير القنبلة الذرية,فهو يحطم الثقة ويفقدها الأمان ويزعزع كل القيم والمثل فى نظرها .

والمغتصبة تدمر روحياً قبل أن تنتهك جسدياً , ويزحف الخوف العاطفى على مشاعرها وتفتح عواطفها ورغبتها فى الحياة وعندما يدب ذئب الحقارة والرعب أظافره فى جسدها,فهو فى الوقت نفسه يجرح إنسانيتها قبل أنوثتها, فينقلب الحنان عندها إلى قسوة,وتنقلب رقتها شراسة، ويتحول الحنان إلى فزع , والإقبال على الحياة الى رعب من مجرد الإنتساب إليها .

وقد جعل المبدع والرائع يوسف ادريس فى قصته(الحرام) الاغتصاب هو الثمن الذى دفعته عاملة التراحيل لجذر البطاطا,وبذلك أضاف إلى فقر الجيب فقر الروح وجدب الأمل ,هى كانت تتحمل الزمن برغم شحه والفقر المضجع وقلة الحلية والموراد, هى تحملت كل هذا ولكنها لم تتحمل هذه اللحظة الرهيبة لحظة اغتصابها فى حقل البطاطا , فبداية الاغتصاب استباحة . وهى برغم فقرها لم تكن مستباحة , ونهاية الاغتصاب كفن تلف به الفتاة لحظة أن يغادر المعتدى ساحة المعركة (٣)

وتعيش الفتاة وهى تتحرك على بركان من العار , والاغتصاب أكبر الجرائم

أثم وإثارة للتقزز والاشمئزاز, هو جريمة عنف وتمرد واحتجاج مرضى قبل أن يكون مجرد حصول المعتدى على اللذة, إنه رغبة فى هتك نسيج المجتمع وفض بنيانه قبل أن يكون هتكا لعرض أو فضا لغشاء, وانتشاره فى أى مجتمع هو دلالة على خلل مرعب وعلامة على انهيار سريع وتفكك مرعب يهدد بناء هذا المجتمع والأهم أنه موشر خطير على مدى العنف المكبوت الذى لا يجد له إلا منفذا فى جسد المرأة ومتنفسا فى كيانها وروحها ولم لا وهى التى يمارس معها وضدها العنف أشكالا وألوانا من المهد إلى اللحد واستسهال تنفيذ جريمة الإغتصاب بالرغم من قسوة وتغليظ العقوبة وبالرغم من كم الإدانة الاجتماعية الضخمة التى توجه للمغتصب ليس له إلا تفسير واحد وهو أنه يوجد اغتصاب فى نواحى آخرى كثيرة من المجتمع تحتاج إلى تدخل

وقد كشفت دراسة حديثة صادرة عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر أن البطالة والمواقع الإباحية على الانترنت، وراء تزايد حالات الاغتصاب في مصر في الأونة الأخيرة بصورة لابد من الوقف أمامها . وأشارت الدراسة إلى أن ما يتم رصده إحصائيا بصورة رسمية لا يمثل سوى نسبة ٥ ٪ من الحوادث، وأن الحالات الأخرى لا يتم التوصل إليها إما لعدم الإبلاغ أو أن الجريمة وقعت من أحد أقارب المجني عليها .كما أكدت الدراسة علي أن أعمار المغتصبين تتراوح ما بين ٢٥ سنة إلى ٤٠ سنة وان ٧٠ ٪ منهم من العزاب لم يسبق لهم الزواج وأن ٥٢ ٪ يعملون في أعمال حرفية، ونسبة الأمية بين الجناة تصل إلى ٣٤ ٪ وأن ٤٢ ٪ منهم يعيشون في غرفة أو غرفتين.. وبلغت نسبة الاغتصاب الجماعي ٤٣ ٪ وهم أشخاص لا تربطهم صداقة .

٤- شيطان يتحرك على قدمين ..

المؤسف في الأمر أن الوعي المجتمعى يحصر قضية الاغتصاب في إطار الجنس وليس في إطار العنف , ولا يريد أن يدرك ويوقن أن الجنس ما هو إلا وسيلة فقط لتفريغ هذا العنف ,ومازال يصر ويحصر الأمر فى أن الفتاة هي المسئولة الوحيدة عن الأمر والحل هو قمعها في خزانة لأنها شيطان يتحرك على قدمين , وماكينة إغراء جنسية لا تستحق إلا الرجم حتى الموت ..

ودائما ما نرى من يلقى اللوم على الفتاة وكما لو كان هذا حق مكتسب للرجل يصنع ما يشاء ودائماً هى المحرك الاساسى لكل مصيبة تحدث لها ، هى من تجعل الآخر يفكر فى ضربها ، فى اغتصابها ، فى استنزافها جسديا ونفسيا وأيضا ماديا ،، هى شيطان يتحرك على الأرض وهو ملاك يطير بجناحين !

ونحن من يصنع كل هذا .. والمقصود بنحن المجتمع الذى نسكنه ونعيش به .. كل هذا يضعنا أمام أنفسنا كي ننظر إلى المرأة بما هو أفضل هى كائن بشري وليست شيطان ،هى مخلوق من لحم ودم كما هو حال الرجل، والمجتمع يعطى للرجل كل الحقوق ويسلبها جميع الحقوق حتى حق الحياة الذى منحها الله اياه الذى هو أقدس من أى شئ فى أن تعيش كما ينبغى لها غير مضطهدة أو مذلة أو ممارس العنف فى حقها ...

٥- اغتصاب الروح

ومن ألوان العنف وصوره إكراه الزوجة على إقامة العلاقة الزوجية قهراً دون رغباتها أو رضاها, وهو سلوك لا يعتبره المجتمع إدانه بل يعتبر الخضوع والأمتثال له واجباً والزاميا , وقد يكره الزوج زوجته على أساليب منحرفة في العلاقة رغماً عن أنفها, وكأن هذا الجسد ليس ملكا لها هى بل ملك له هو , وقد أجرى مركز النديم ومركز دراسات المرأة الجديدة بحثاً ميدانياً في مصر أفادت ٩٣٪ من عينة البحث أنهن يعتبرن المعاشرة الزوجية بدون رغبة الزوجة عنفاً,وتم إطلاق كلمة عنف بدلاً عن كلمة اغتصاب ولم يصرحن بذلك من باب التأدب !!

وقد خلصت دراسة أجرتها منظمة الصحة العالمية في بلدان متعدّدة إلى أنّ ١٥فى المائة إلى ٧١ فى المائة من النساء أبلغن عن تعرّضهن، في مرحلة ما من حياتهن، لعنف جسدي و جنسي مارسه ضدهن الأشخاص الذين يعاشرونهن.

الاغتصاب هو اغتصاب للروح,والتحرش الجنسي هو تحرش بكل ماهو جميل في هذا الكون , والمرأة قارورة عطر تتعطر بها الدنيا في هجير الوحدة وقيظ اليأس, فلنجعلها تفوح ناشرة شذاها غير خائفة وغير مرعوبة من ذئب يتلذذ بجسدها, أو بلطجي ينهش روحها لا تمنعوا عطرها بتحويله إلى بركة دم وهنا تتمثل القضية فى العنف نفسة سوء ضد زوجة أو طفلة صغيرة أو حتى طفل ونخص بذكر الأنثى التى هى تعد كيان المجتمع والمكون الرئيسى فيه

فقد قال الروائي الفرنسي والحائز على جائزة نوبل «أناتول فرانس» المرأة هي مكونة المجتمع، فلها عليه تمام السلطة . .

لا يعمل فيه شيء إلا بها، ولأجلها ونحن نصنع عكس ذلك تمام نتعامل معه على إنها سنيد مثل دور الممثل فى الافلام ممكن الفيلم يستمر بعدم وجود هذا السنيد وهذا ليس بصحيح بالمرة لأنها هى الممثل الرئيسى فى قصة الحياة

المجتمعية الواقعة بالفعل وليس كما
يعتقد الآخرون إنه سنيد وعلى الطرف الآخر أن يراجع تلك النظر الدونية إلى النساء بشكل عام سواء زوجة أو أم أو أخت أو زميلة أو أو أو الخ .

obeikan.com

٦- العنف السلوكى تجاه العانس

العانس هو تلك المسمى الذى يطلق على المرأة التى لم تتزوج أو تأخر سن الزواج عندها ، و هو لفظ دميم به الكثير من معانى الإتهام والتحقير والتصغير لشأن تلك المرأة ,التي من الممكن أن نطلق عليها لفظ عازبة فهو أفضل بكثير من كلمة عانس التي بها الكثير من إيحاءات غير مرضية بالمرة والكلمة نفسها تحمل الكثير من الدلالات في مصر والمنطقة العربية , هذا يعد من أشد أنواع العنف المعنوي الذي يمارسه المجتمع ضد المرأة , ونجد من يقسم المجتمع إلى رجل وامرأة وعانس كما لو كانت العانس جنس ثالث وليست من جنس المرأة .
والعانس المصرية بالخصوص مخلوق له خصائص مميزة يطلقها عليها المجتمع وقتما تلتصق بها هذه الصفة ,ينظر إليها المجتمع بعين الشفقة حينا والسخرية والخوف منها حينا آخر, والشفقة تتمثل فى حالها البائس الذي جعل قطار الزواج يفوتها ,ويتمثل الخوف منها على انها في نظر الجميع شخصية معادية للمجتمع تتلذذ بإلحاق الأذى بمن حولها, و ذات عين حاسدة , وقلب حاقد , ورغبة مدمرة في إيذاء الآخرين الذين حازوا على وسام الزواج , وانتصروا في معركة الاقتران الدائم , وكل هذا وصف للشخصية السيكوباتية فقد تحولت إلى مريضة نفسية على أيدى المجتمع ,والسخرية تكمن فى النظر إلى ضيق عقلها أو تخلفها عن ركب الزواج أو الإيقاع بعريس أياً ما كان من باب ضل راجل ولا ضل حيطة.
وكل هذه التصورات تضع العانس فى سجن وقفص تسجن فيه مهما وصلت إلى أعلى المراتب العلمية والمهنية فى حياتها, ووجب عليها أن تتحرك في إطار القفص الضيق الذي تمثلت قضبانه بالعيون المشفقة والخائفة والفضولية والسآخرة التي تتهمها على الدوام بالتقصير, وأنها تخاصم الجمال أو أنها شخص غير مرغوب فيه , وهذا ما جعل العرسان تفر منها طبقاً للمورث

الشعبى القائل لو كان فيها الخير ما كان رماها الطير , ولا يتسائل المشفقون والخائفون والسآخرون ,أنفسهم سؤال,لما لا نعتبر العانس ضحية لحظة صدق مع النفس اختارت فيها بين الرضوخ لرغبات الزبون وأقصد بذلك العريس وبين احترامها لنفسها , ففضلت الإختيار الثاني فالكثير من العازبات آنسات عوانس بإرادتهن , ولكن عندما اتخذن القرار اتخذنه في البداية عن اقتناع ولكن رويداً عندما بدأت أن تظهر عليهن تجاعيد الزمن والناس قررن الانسحاب لأن المجتمع أصابهن ووصفهن بأوصاف مهينة ومن المؤكد أيها القارئ العزيز أن يتبادر إلى عقلك هذا السؤال ,دائما ما نتكلم عن العانس فلماذا لا نتكلم عن العازب ؟

ببساطة لأن المجتمع ينظر إلى العانس ويعاقبها ويتسامح مع العازب ,وذلك من باب العرف والتقاليد التى منحت الرجل حقاً في الإختيار والطلب والبحث وسلبت من المرأة المهلة الممنوحة لها وحق الإختيار بامتداد العمر كله منذ سنوات النضج حتى الشيخوخة, هو يبحث فيها كيفما يشاء ووقت أن يأتي له مزاجه أو تطبق في دماغه يرتبط , أما المرأة فلها صلاحية محددة ومعينة فقد ختمها المجتمع بختم الشركة المنتجة أو المصدره, وإذا ما تجوزت المرأة مدة الصلاحية و انتهت صلاحيتها تهاجم حياتها من قبل المحيطين بها, وتقلب حياته رأساً على عقب باسم التقاليد.

فما مدى أهمية ما يجعلنا نتعرض لقضية العانس وليس العازب , هى تلك النظرة المختلفة للطرفين, فالرجل عندما يقول سوف أحقق ذاتي ومستقبلى وبعدها أتزوج , ودائما ما نسمع هذه الجملة التى يرددها االشباب بأكون نفسي ,أما الفتاة المصرية أو العربية تقول أن الزواج هو تحقيق للذات لأن المجتمع فرض عليها أن الزواج هو تحقق الذات وليس العمل من باب الزواج ستراً وغطاء.

ولكن النظرة في الغرب مختلفة كل الاختلاف فالزواج في الغرب للمرأة هو لجوء للحب والتفاهم والإحساس بالأمان , ولكن عندنا هو هروب من كلمة

عانس واعترافاً بسيادة الرجل المطلقة على ساحة الحياة,وإذا نظرنا بشكل سريع على المورث الشعبي من الأمثلة نجد ذلك الخوف منتشر ومؤثر بشكل مفزع ويعطى الرجل حق التسلط والسيادة فنقول مثلا, جاهل يعولني ولا عاقل أعوله , الراجل رحمه لو كان فحمه, زوجة من عود خير من قعود , أبويا وطاني وجوزي علاني , ضل رجل ولا ضل جدار, امرأة بدون زوج أرض بدون بذور ,اخطب لبنتك وما تخطبش لابنك, التوهة وسّخت في ذقن أبوها.... إلخ. التوهة كناية عن البنت ..

كل ذلك وهناك الكثير والكثير فهذا غيض من فيض يجعل الفتاة منذ أن تولد وهى هم , وتحمل إثم أنوثتها حتى تتزوج , ومع الأسف الشديد ليس له حق الاختيار أو حتى المبادرة , لأنها ليست في يدها , ومسلسل العنوسة طويل وممتد بطول وامتداد الحياة البشرية نفسها , وقد قيل أنه تم العثور على بعض الآثار فى بابل مكتوب عليها تلك الكلمات منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام الفتاة التي تتزوج نملة أفضل من الفتاة التي تحيا وتموت وعلى قبرها كلمة عانس .

وفى بلاد فارس لم تكن الدولة تشجع الفتيات على البقاء عذارى، ولذلك سنت قانوناً عرفيا خاص بقانون الزواج الإجباري , والذي بموجبه أرغم كل عازب على الإقتران لدى بلوغه سناً معينة شاء أو رفض عن طريق لجنة تقوم بجمع الفتيات البالغات في كل سنة , وتدعو الشباب لاختيار عرائسهم بعد تقسيم الفتيات إلى ثلاث أصناف: الجميلة والمتوسطة والقبيحة , ثم تقسم بالتالي كل فئة إلى متعلمة وجاهلة , ثم تقف الفتيات في صفوف وتعرض على الشبان وفق الشروط والتصفيات , وكانت الأسعار وقتها متهاودة , فالجميلة المتعلمة ثمنها ألف دينار يدفعها طالبها إلى اللجنة ,أما الجميلة الجاهلة فخمسمائة دينار , وهكذا حتى نصل إلى ذيل القائمة حيث القبيحة الجاهلة والتي يبلغ ثمنها ألف دينار مع مراعاة أن من يدفع هذه المرة هو اللجنة نفسها؟!, وأعتقد أن هذا التقسيم قد انتقلت عدواه من فارس إلى مجتمعنا , ولكن الفرق أنهم قديماً كانوا صرحاء في التصنيف , أما الآن فنحن نصنف ونسعر أيضاً وكأننا في مزاد

ولكنه مزاد سري , أما عشائر الأزتك وهم السكان الأصليون للمكسيك فكانت تقاليدهم تقضي بوجوب زواج الفتاة قبل سن الثامنة عشرة , ومن تحيد أو تخرج عن هذا التقليد يتم حلاقة شعرها دلالة على مهانتها , أما عند بعض طوائف الهنود فكان كبارهم يفرضون على من لم يزوج ابنته بعد بلوغها الثانية عشرة من عمرها أن يشرب إفراز حيضها شهراً بعد شهر , ويتوقف فقط عند زواجها , وبالطبع كان الرجال يسارعون بتزويج بناتهم بمنتهى السرعة , أما أغرب حكايات العنوسة فهي العنوسة الجماعية التي يحكيها لنا شعراء اليونان عن شعب كله من الإناث كان يعيش على البحر الأسود ويسمى شعب الأمازون تحكمه ملكة ويحمى بلاده جيش النساء , يركبن الخيل ويضربن بالسيف , ولا تنقطع غاراتهم عن الجيران , وهن لا يسمحن لرجل بأن يقيم في مملكتهن , ولكنهن وحفاظاً على بقائهن كن يهاجرن أفواجاً في كل عام ويتصلن برجال الأمم الأخرى ثم يلدن فيقتلن الذكور ويستبقين الإناث « ٤ «